عدد خاص

من تجليات تزْنِيمَةِ الاضطهاد: أكذوبة رمي اليهود في البحر

إعداد

أ.م.د. شريف إمام

استاذ مساعد بقسم التاريخ

كلية الآداب جامعة عين شمس

عدد مهداه أبحاثه لروح أ.د.أحمد عبد العزيز

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الرابع و الستون - يناير -الجزء الرابع - لسنة 2025

من تجلّيات تَرْنِيمَةِ الاضطهاد: أكذوبة رمي اليهود في البحر

د. شريف إمام

قامت الحركة الصهيونية وصنيعتها دولة إسرائيل، على تعميم مجموعة من المفاهيم التي أصبحت مقبولة لدى الرأي العام الغربي، ولدى جزء لا يُستهان به من الرأي العام العالمي بما فيه المحيط العربي. وتبدو هذه المفاهيم في نظر الكثيرين مُسلَّمات، قام على إثبات صحتها أدلة أنطولوجية لا تقبل الشك؛ فهي تتسم بخاصية الوضوح الذاتي تظهر صحتها بمجرد النظر فيها دون حاجة إلى إثبات أو برهان. ولعل أحد أكثر تلك المفاهيم رواجًا، شعار: "سعي العرب لرمي اليهود/إسرائيل في البحر"، تلك العبارة التي لاكتها أَلسنة كثيرة في الغرب والشرق، ورددتها إذاعات وتصريحات، وخاض فيها مؤرخون وصحفيون وساسة، وشقت طريقها إلى المؤسسات الأكاديمية والدولية. بل أمسى هذا الشعار أحد ركائز عقيدة الاضطهاد التي لازمت التاريخ اليهودى، وهو اضطهاد نابع من "دُوْنيَّة" المُضطهِد أمام سمو شعب الله المختار. إن عقيدة الاضطهاد والسمو في العقل اليهودى، هي المحفزة لحالة البارانويا الجماعية التي يعاني منها اليهود ودولتهم. بل إننا لمسنا صناعة ركيكة لخطاب الاضطهاد قبل شروع إسرائيل في حربها البربرية على غزة، فقد سبقتها بصور رؤوس أطفال المستوطنين الإسرائيليين المقطوعة والتي تبث فركتها، وأن الغرض منها تقمص دور الضحية في حرب الإبادة التي خططت لها.

ونحاول في هذا المقال تفكيك اليقين الذي التصق بعبارة رمي اليهود في البحر، عبر وضعها في مرمى النقد التاريخي لمعرفة حقيقة من قالها؟ ولماذا راجت تلك العبارة حتى صارت من المُسلَّمات؟ ومن أين أتى هاجس الإلقاء في البحر عند اليهود؟ وكيف استجابت الصهيونية لهذا الهاجس وحولته لمشاريع وممارسات لإلقاء الفلسطينين في أَبْحُر الشَّتات؟

آباءٌ كثر لمقولة الهولوكست العربي المزعوم

تواترت المرويات الصهيونية عن سعي العرب لرمي اليهود ودولتهم في البحر، لكنها لم تُسنِد هذا القول إلى شخص بعينه، حيث نسبت المقولة للرئيس جمال عبد الناصر تارة، ولمؤسس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيرى تارة أخرى، وبينهما آباءٌ أخرون للمقولة من بينهم، الصحفى أحمد سعيد، وعبد الرحمن عزام أول أمين لجامعة الدول العربية، ومرشد الإخوان حسن البنا، ومفتي القدس أمين الحسيني وغيرهم. إنها تهمةٌ متجددةٌ لا زال يُبحث عن مرتكبها، ولا ضير في تأويل بعض الخطب التاريخية لشخصيات

عربية، أو حتى إجراء بعض التحريف البسيط أو الفج عليها، من أجل إدخال متهمين جُدد.

ويمكننا القول، إن ميلاد أسطورة رمي اليهود قد بدأت من اتِّهام مفتى القدس أمين الحسيني برفع هذا الشعار، إبَّان أحداث البراق عام 1929، فعندما شُكَّلت لجنة شو البريطانية في أغسطس 1929 لبحث أحداث تلك الاضطرابات، برز هذا الشعار. ففي أثناء التحقيقات سُئل المفتى بوضوح عن الهجرة اليهودية لفلسطين، فأَبَان موقفه قائلًا: " إن عدد اليهود في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني ستين آلفًا. وهؤلاء هم مواطنون فلسطينيون، لهم ما لنا وعليهم ما علينا. أما الآخرون فليسوا مواطنين شرعيين، دخلوا البلاد بغير حق، وينبغى أن يعودوا إلى أوطانهم الأولى". فعاجله محامي الوكالة اليهودية، محاولًا تحريف الْكَلِمَ عن مَوْضعه، هل تريد يا سماحة المفتى إلقاء اليهود بالبحر؟ فأجاب: "نحن لا نريد إلقاء اليهود في البحر. بلادنا لنا، واليهود المهاجرون يعودون إلى بلادهم". هكذا أوضح المفتى بشكل لا لبس فيه أنه لا يقصد هذا المعنى الذي وصل للسائل، ورغم أن الواقعة دليل نفى؛ فإن اليهود اعتبروا أن دعوة المفتى لعودة اليهود الذين دخلوا في ظل الانتداب إلى أوطانهم بمثابة دعوة لإلقائهم في البحر، وهو ما لم يقله[1]. ولعل تقرير لجنة شو جاء واضحًا في تحميل سلطة الانتداب قدرًا من المسؤولية عن الأحداث، من خلال السماح بالهجرة غير المحدودة لليهود إلى فلسطين، وبرَّأ المفتى من تهمة المشاركة في أحداث انتفاضة البراق أو التحريض عليها[2]. بل إن المفتى تراجع عن فكرة إعادة اليهود ممن ثبت عدم قانونية هجرتهم إلى أوطانهم الأصلية، فعندما أرسلت الحكومة البريطانية لجنة بيل إلى فلسطين في أعقاب الثورة الفلسطينية الكبرى، سأل اللورد بيل المفتى: تطلبون سماحتكم بإنشاء حكومة وطنية في البلاد؛ فماذا تفعلون مع أربعمائة ألف يهودى موجدين هنا؟ فرد المفتى: ليست هذه أول مرة يكون فيها اليهود في حماية دولة عربية. ويروي التاريخ دائمًا أن اليهود ما استراحوا في جميع العصور إلا في ظل الحكم العربي، وكان الشرق ملجأ اليهود الفارين من الضغط الأوربي[3]. ولم يطرح المفتى هذه المرة إعادة اليهود – ممن لم تكن هجرتهم شرعية – إلى أوطانهم الأصلية.

أما ما يتعلق بحسن البنا واتهامه بذلك؛ فإن مردَّه إلى مقال نشرته نيويورك تايمز في الثاني من أغسطس 1948، على خلفية حوار أجرته معه، ومن جملة ما أوردته على لسانه: "إذا أصبحت الدولة اليهودية حقيقة، وهذا ما أدركته الشعوب العربية، فإنها – أي الشعوب–ستدفع اليهود الذين يعيشون في وَسطهم إلى البحر"[4]. ورغم أن هذا التصريح لم يرد له ذكر في صحف الإخوان في تلك الفترة، ولا في رسائل ومذكرات الإخوان إبَّان حرب

فلسطين، وهي معلومة للجميع، بل إن الإذاعة المصرية نفسها كانت تذيع بعضها[5]. كذلك استئثار صحيفة النيويورك تايمز – معروفة التوجه في الصراع العربي الإسرائيلي– يثير علامات من الريبة حول صدق القصة، خصوصًا وأنَّ مُراسلها دانا شميت Dana Schmidt– والذي نقل الحوار– عُرف عنه تحيزه لبني دينه من اليهود، وقد عمل مراسلًا لفترة طويلة في الشرق الأوسط وكان يُكثر من الأسئلة المفخخة عن وضع اليهود إذا حقق العرب انتصارًا، وهل سيتم رميهم في البحر. من تلك مقابلته مع ياسر عرفات عام 1968 الذى قال له بوضوح: "لن نرمي أحدًا في البحر"[6]. ومع ذلك، فإن مقولة البنا – على فرض صحتها– يتَّضح منها، أن المقصود بها اليهود في الوطن العربي وليس يهود فلسطين.

أما اتهام أمين جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام، فمَبْعَثه كتابات الصحفي الأمريكي الصهيوني إسرائيل جولدبرج – المعروف باسمه المستعار روفوس ليرسي–، حيث ذكر في إحداها أن عزام صرح في 15 مايو 1948 –مع بداية حرب فلسطين– بأن الحرب القادمة ستكون حرب إبادة ومجزرة جسيمة، وسيتم الحديث عنها مثل المذابح المغولية والحروب الصليبية[7]. لكن بالعودة إلى الوثائق يتضح أن هذا التصريح يعود إلى أكتوبر 1947، وكان عبارة عن سؤال عن الحرب القادمة في فلسطين، وكان جواب عزام: " إنني شخصيًّا أرجو ألا يضطرّنا اليهود إلى هذه الحرب، لأنها ستكون حرب إبادة وستكون مجزرة خطيرة في التاريخ"[8]. ولقد سلط المؤرخ الإسرائيلي توم سيغف Tom Segev الضوء على اقتباس عزام باشا، وأكد أنه استُخدم خارج سياقه الأصلي من قبل جهاز الدعاية الحكومي الإسرائيلي[9].

ولعل إلحاح الدعاية الصهيونية على تصدير فكرة أن العرب رفعوا شعار رمي إسرائيل في البحر أثناء حرب فلسطين، قد دفع بالمؤرخ الإسرائيلي شاي هازكاني Shay Hazkani صاحب كتاب: "عزيزتي فلسطين" إلى دراسة وثائق تلك الفترة بموضوعية، فقاده بحثه إلى غياب أي دليل – سوى تصريح حسن البنا سالف الذكر– على رفع العرب شعار رمي اليهود في البحر إبَّان حرب فلسطين، فكتب مقالًا في صحيفة هآرتس عام 2022 يقول: " أمضيت أكثر من خمسة عشر عامًا من البحث في مئات الوثائق الحكومية في الفترة من (47/ 1949)، فلم أعثر على دليل واحد يشير إلى أن عربيًّا قال سنرمي اليهود في البحر، باستثناء تصريح لحسن البنا[10]. ويستطرد قائلًا: " تلك الاقتباسات المنسوبة لعبد الرحمن عزام وغيره غير مدعومة بمصادر موثوقة. وعلى أية حال، لم أجد أي دعوات لقتل اليهود لمجرد أنهم يهود، سواء في الدعاية أو المواد التعليمية التي كانت تقدم للمُقاتلين العرب"[11].

ولعل ما ذكره هازكاني يؤكده نص محادثات في أكتوبر 1948 أجراها الدكتور محمود فوزي – كان مندوبًا لمصر بالأمم المتحدة وقتها وقنصلًا لها بواشنطن بل اختير ممثلًا للوفود العربية المشتركة بحرب 1948 في الولايات المتحدة – مع المسؤولين الأمريكان، ذكر فوزي أن الغرب يواصلون تسليح اليهود ومدَّهم بالذخائر والطائرات والطيَّارين بالمخالفة لشروط الهدنة، والأمر معروف سواء اعترفنا بذلك رسميًّا أم لا. إن فرقًا خطيرًا في التسلح بين اليهود والعرب ينمو، ويجب أن يكون لدى العرب ما يكفي من الأسلحة للدفاع عن أنفسهم. ويعلق التقرير الأمريكي: "إنهم لا يطلبون السلاح لدفع اليهود إلى البحر، ما يكفي فقط للدفاع عن أنفسهم"[12].

They are not asking for arms to drive Jews into sea, only enough to defend selves

في منتصف الستينيات، عاد التوتر للمنطقة العربية من جديد، وظهرت الدعاية الصهيونية بشعارها القديم. وكان عبد الناصر والشقيرى أكثر من التصقت بهم عبارة سعي العرب لرمي اليهود في البحر، من بين كل المُتهمين القدامي والجدد. وبالنسبة للأخير فإن قصة اتهامه تعود إلى أيام ما قبل النكسة، ففي عمان في الثاني من يونيو 1967 حل الشقيري ضيفًا على الملك حسين الذى اصطحبه معه على متن طائرته من القاهرة، وفى مؤتمر صحفي غاص بالمراسلين الأجانب والعرب، سُئل الشقيرى عن هدفه من المشاركة في الحرب حال وقوعها، فقال تحرير وطننا من الاحتلال الإسرائيلي. فسأله أحد الصحفيين، وما هو مصير الإسرائيليين، هل تلقونهم في البحر؟ فأجاب: "لا نريد إلقاء اليهود بالبحر، سبق لي عام 1957 أن تقدمت باقتراح إلى الأمم المتحدة دعوت فيه إلى إنشاء وكالة تُعرف " بوكالة العودة"، تعمل على تسهيل إعادة الإسرائيليين إلى مواطنهم الأولى. فنحن ضد إسرائيل الدولة ولسنا ضد اليهود. إن اليهود الفلسطينيين يستطيعون البقاء في فلسطين، وكذلك اليهود الذين جاءوا من البلاد العربية، أما اليهود الباقون، يعودون كما جاؤوا، لقد جاؤوا بالبحر وبالبحر يعودون"[13].

وقد أجرت الصهيونية تحريفًا على تصريح الشقيري ليتحول إلى دعوة لإلقاء اليهود في البحر، ولعلنا نلمس صدق رواية الشقيري من خلال تتبع التأريخ المبكر لحرب الأيام الستة في الكتابات الغربية، ونحسب أن أول كتاب أرَّخ للحرب ما وضعه نجل رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، المؤرخ راندولف تشرشل Randolph Churchill وفيه ذكر نص ما جاء في التصريح – كما أورده الشقيري– ولم يذكر الدعوة لإلقاء اليهود في البحر[14]. كما حاول المؤرخ الإسرائيلي موشيه شيمش Moshe Shemesh أن يثبت

سلامة التهمة على الشقيري، لكن أهداب الموضوعية قادته إلى القول: "صحيح أن تصريحات الشقيري كانت بالفعل تعبر عن عداء شديد لإسرائيل، لكنه لم يقل ضمنًا أو صراحة بإلقاء "اليهود الذين بقوا في فلسطين في البحر". وكان نيته أن أولئك الذين بقوا سيتم ترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية، في السفن عبر البحر، بنفس الطريقة التي وصلوا بها إلى إسرائيل[15].

وفى الحقيقة، فإن الشقيري وهو يدلي بهذا التصريح كان يعبر عن رأي آمن به، وهو تقريبًا موقف الهيئة العليا التي رأسها أمين الحسيني وانضم إليها الشقيري عند نهاية الحرب العالمية الثانية، فقد سلَّمت بحق البقاء في فلسطين لأولئك اليهود المقيمين في البلاد منذ ما قبل الانتداب البريطاني دون سواهم، وطالبت بعودة جميع اليهود الآخرين إلى بلدانهم الأصلية[16]. بل إنه نفس الموقف الذي تبنته منظمة التحرير بعد الشقيري في ظل رئاسة ياسر عرفات، ولقد قالها صراحة للرئيس الأمريكي جيمي كارتر في لقاء جمعهما عام 1990: " إن منظمة التحرير الفلسطينية لم يسبق لها أبدًا أن دعت إلى إفناء إسرائيل، الصهاينة هم الذين الذين بدؤوا شعار "رمي اليهود إلى البحر" ونسبوه إلى المنظمة"[17]. والحقيقة أن الأمريكان هم أكثر من روجوا لهذا الشعار، كما سنوضح فيما بعد.

ويعطي لنا فيصل الحوراني في شهادته رواية مهمة في هذا السياق فيقول: "عندما سُئل الشقيري عن مواطني إسرائيل اليهود، أجاب مراسل إذاعة لندن بالقول الذى اعتاد أن يستخدمه، من البحر جاءوا وإلى البحر يعودون، لكن المراسل – الذي يعرف اللغة العربية معرفة تامة ويعرف سياسة منظمة التحرير– زوَّر إجابة الشقيري وصارت العبارة سوف نرميهم في البحر". ويمضي الحوراني في شهادته بالقول: "إنه قابل أستاذًا نمساويًّا كان صديقًا للمراسل البريطاني الذي زور التصريح، وأقر له بأنه زوَّر العبارة متعمدًا وأن رؤساءه عرفوا أنها مزورة"[18].

ولعل الوثائق الأمريكية تمُدّنا بدليل قاطع لا يقبل الشك، على تبرئة الشقيري من تلك الفرية. ففي 24 مايو 1967، أي قبل التصريح المنسوب للشقيري، اجتمع وفد بريطاني برئاسة وزير الخارجية جورج طومسون George Thomson في واشنطن بمسؤولين في الخارجية الأمريكية، لبحث تبعات إعلان عبد الناصر إغلاق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، وفي أثناء الاجتماع قال وزير الخارجية الأمريكي دين راسك Dean Rusk: " إننا لا نستطيع أن نبقى بعيدين عن مشاكل الشرق الأدنى، وأنه لا يمكن السماح للعرب بدفع الإسرائيليين إلى البحر[19].

Arabs cannot be permitted to drive the Israelis into the sea

لقد كان راسك يعبر عن ما سمعته الإدارة الأمريكية من اليهود، حتى قبل قيام دولته، وصدَّقته به وصار عقيدتها في التعامل مع الصراع العربي الإسرائيلي، تبرر به دعمها اللامحدود لإسرائيل.

وقبل الانتقال إلى آخر المتهمين وربما أهمهم جمال عبد الناصر، يجدر الإشارة إلى اتهام الصحفي ألكسندر هورن Alexander Horne –في مقالة حديثة له– الرئيس السورى السابق حافظ الأسد برفع هذا الشعار، فيذكر هورن: "لقد اعترفت صحيفة الجارديان، التي نادرًا ما تكون صديقة للحكومة الإسرائيلية، مؤخرا أنه في عام 1966 أعرب الزعيم السوري حافظ الأسد عن رغبته في إلقاء اليهود في البحر". وكلام هورن يحمل في طياته أدلة بطلانه، فالصحيفة لم تنشر الخبر في حينه كما يذكر، وأما كون الجارديان معادية لإسرائيل فإنه أمر يثير السخرية[20].

على كل، يمكن النظر إلى الرئيس عبد الناصر باعتباره آخر من لحقهم الاتهام بجدية، وهنا التشديد على الجدية، لأن الاتهام طال بعد ذلك حكام هم أبعد ما يكونوا عن قول مثل هذه العبارات، كما في اتهام جولدا مائير للسادات بأنه يسعى لرمي اليهود في البحر. ويعود اتهام ناصر إلى ما بعد نكسة 1967، حيث استخدمتها الدوائر السياسية الأمريكية لتبرير دعمها لإسرائيل وإطفاء طابع أخلاقى على موقفهم من العرب "العدوانيين" الساعين لإبادة اليهود. ففي وثيقة للمخابرات الأمريكية في يوليو 1967 تبرر حرب إسرائيل، بخُطب ناصر العدوانية الداعية لرمي إسرائيل في البحر[21]. واستمرت الصحف الأمريكية تردد تلك النغمة، ففي مقابلة مع جيمس ريستون James Reston، نائب رئيس صحيفة نيويورك تايمز، بدا ناصر أكثر انفتاحًا على إيجاد حلول سلمية للصراع، فعلقت الصحيفة: "الإسرائيليون منزعجون بعض الشيء من لهجة الرئيس عبد الناصر التصالحية، أن الأمر يبدو كما لو أنهم يفضلون الزعيم المصري بأسلوبه القديم، المهدد بدفع الإسرائيليين إلى البحر"[22].

لكن بعد رحيل الرئيس عبد الناصر عام 1970 عادت الأبواق الصهيونية لاستخدام هذا الشعار ضده، ما استفزّ الوزير العمالي الأسبق في الحكومة البريطانية كريستوفر ميهيو Christopher Mayhew – وكان صديقًا لناصر ومؤمن باعتدال توجهه حيال الغرب–، فقرر أن يفضح الأكذوبة الصهيونية، فنشرَ عام 1973 في الصحف البريطانية إعلانًا قال فيه بأنه سيقدّم مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني لمن يستطيع أن يُثبت أن عبد الناصر دعا لرمي اليهود في البحر، وفي عام 1974 كرر العرض نفسه لمن يستطيع أن يثبت أن أي أحد من الزعماء العرب، دعا يومًا إلى رمي

اليهود في البحر أو إبادتهم بأي طريقة[23]. يقول ميهيو: "وصل إليَّ العديد من العبارات المزعومة التي قيل أنها صدرت في السابق عن مسؤولين عرب بارزين، وعند تمحيصها ثبت أن جميع هذه العبارات كانت إما عبارات أُسيء ترجمتها أو أُسيء اقتباسها، أو أنها صدرت عن عرب لم يكونوا في موقع المسؤولية. ولقد رُفِعت عليَّ دعوة قضائية في المحكمة العليا عام 1976، ما لبث صاحبها أن اضطر إلى سحب دعواه والاعتذار لى والاعتراف علنًا أنه وبعد بحث طويل، لم يتمكن من إيجاد عبارة صدرت عن أي زعيم عربي مسؤول يمكن وصفها، بأنها تدعو إلى فناء اليهود"[24].

وفي دراسته عن العرب والمحرقة النازية، تعرض جلبير الأشقر إلى اتهام عبد الناصر بالسعي لإبادة اليهود فذكر: "إن خطب الرئيس جمال عبد الناصر، والتي أمست متاحة على موقعه الإلكترونى، والتي تتضمن 1.359 تصريحًا وخطبة لا يوجد أي حديث عن رمي اليهود في البحر، سوى كلمة ألقاها البكباشي عبد الناصر في نادي فلسطين بالإسكندرية عام 1953، وفيها يقدم ناصر تعليقًا ساخرًا على الموقف العربي، في الفترة التي كان يجرى خلالها ترجمة المشروع الصهيوني إلى فعل في ظل الانتداب البريطاني، فقال ناصر: " كنا نقول في اجتماعاتنا وخطبنا سنلقي اليهود في البحر، وبعد انتهاء الخطبة نطمئن، ويذهب كل منَّا إلى بيته"[25].

إن هذا الدليل الواهن، الذي يقدمه الأشقر في معرض التندر، يرقى إلى أن يكون شهادة نفي لا إثبات، وما يؤكد ذلك ما ذكره ناصر لريتشارد كروسمان Richard Crossman – عضو حزب العمال البريطاني– في ذات التوقيت ديسمبر 1953 بالقول: " إن فكرة رمي اليهود في البحر ليست سوى دعاية"[26]. إن عبارة عبد الناصر في خطاب الإسكندرية قريبة من عبارة لأحد المتهمين بالسعى لرمي اليهود في البحر، وهو فاضل الجمالي ممثل العراق في الأمم المتحدة. فحسب مدونة شيخ صهيون Elder of Ziyon المؤيدة لإسرائيل فإن جمالي تحدث في جامعة الدول العربية في السادس من فبراير 1955عن سبب ضياع فلسطين، فقال: "ضاعت فلسطين لسببين أساسيين: الأول أننا خدعنا أنفسنا من خلال التقليل من شأن قوة خصمنا والتفكير في أن اليهود لم يكونوا أقوياء، لقد قال لنا أحد مسؤولي الجامعة إنه مع ثلاثمائة جندي أو متطوع يمكن إلقاء اليهود في البحر. السبب الثاني هو أننا اعتقدنا أننا أقوياء بما يكفي لمواجهة العالم ولكن الحقيقة هي أننا لم نقدر قوتنا بشكل صحيح، ولم نكن نعرف أن وراء يهود فلسطين تقف الصهيونية العالمية بمواردها في كل بلد كبير.[27]

إن مثل هذا الحديث، يقال من باب ضرب الأمثال على مقدار تهوين القيادات العربية من قدرة العصابات الصهيونية وسهولة الانتصار، وليس شعار رُفع أثناء المعركة. إنها حالة من رثاء النفس وبكاء الحال، ولقد شاعت لدى الكثيرين بعد نكبة 1948، فيذكر لنا جان لاكوتير حدثًا شاءت الظروف أن يكون شاهدًا عليه. ففي أوائل عام 1954، عندما قام ثلاثة من قادة النظام الجديد، بينهم عبد الناصر، بزيارة لجامعة القاهرة، قوبلوا بصيحات الاستنكار من جانب الطلاب الذين طالبوا بالسلاح لتحرير قناة السويس وفلسطين. وقد ردَّ صلاح سالم – أحد الثلاثة– على الطلاب: عندما كنا في مثل عمركم، طالبنا، نحن أيضًا، بالسلاح، كي يتسنى لنا رمي اليهود في البحر! لكن اليهود هم الذين رمونا"[28].

ومع كل الردود التي سقناها – والتي تفرض علينا الموضوعية القول: أنها لم تناقش حالة كل المتهمين بالسعي لرمي اليهود في البحر، وإن أتت على أشهرهم• – ظل تناقل تلك الفرية باعتبارها حقيقة، خصوصًا في حق عبد الناصر، ولعل شيطنة ناصر تحديدًا ورسم صورة له باعتباره معاديًا للسامية، قامت على أساس مقارنة منهجية جد مثيرة للسخرية من شأنها أن تثير الضحك لولا أنها تذكر في معرض المأساة، وتذهب المقارنة إلى أن ناصر هو هتلر، و"فلسفة الثورة" مثل "كفاحي"، والوحدة بين مصر وسوريا أشبه بضم ألمانيا للنمسا، وتحالف ناصر وخروشوف أشبه بميثاق أغسطس 1938 بين هتلر وستالين وهكذا من المقارنة التي تجعل ناصر عازم لا محالة في أي لحظة على إحداث هولوكست عربي لليهود[29]. لكن يبقى السؤال لماذا راجت تلك الفرية بهذه القوة حتى أمست في حكم الحقيقة المقضي بصحتها؟

لماذا راج شعار رمي اليهود في البحر؟ وما جذوره في العقل الصهيوني؟

لقد راجَ شعار رمي اليهود في البحر بين الأوساط الغربية والعربية على حد سواء، حتى تناقلتها الأجيال كحقيقة لا يرقى إليها شك، فأوردته كتابات المؤرخين والساسة والمفكرين، وتناقله قادة وحكام في خطبهم. وإذا حاولنا فهم سبب فُشو هذا الشعار في الأوساط الغربية، فإن البروباجنادا الصهيونية لها الفضل الأكبر في ذلك، فقد عملت على إشاعات هذه الفرية بغية تحقيق غايتين: أُولها داخلي يتمثل في تحفيز المجتمع الإسرائيلي على التماسك وإزكاء روح الكراهية للعرب، ففي أثناء حرب فلسطين تم ترويج تلك الفرية على نطاق واسع، وأظهرت البرامج التعليمية المقدمة للجنود أنه قد تم شيطنة العرب ووصفهم بأنه يعتزمون ذبح اليهود ونهب ممتلكاتهم. فعلى سبيل المثال، نشرت جريدة باماهاني الصهيونية الرسمية في يوليو 1948 خطبة لمناحيم تلمي، وهو

جندي وصحفي في لواء جفعاتي، في حشد من الجنود قال فيها:" لقد رشقوا الحجارة علينا وأطلقوا الرصاص على جماجمنا، وهربوا بجنون ووعدونا بإلقاءنا في البحر. كان أملهم هو سقوطنا، ودماءنا المسفوكة كانت تروق لأعينهم، لذا فهذا هو عقابهم"[30]. وفى أثناء الحرب، وبينما كانت ملامح النكبة ترتَسم، نشرت إحدى التقارير التعليمية التي كانت تُتْلى على مسامع الجنود الإسرائيلين وقتها: "لقد تسرب الشك للعرب في أن تدمير المدن والمستوطنات الإسرائيلية ورمي اليهود إلى البحر، ليس بالمهمة التي يمكن القيام بها بسهولة. إن إسرائيل تريد السلام مع العرب، لكنها تطالب بالمفاوضات المباشرة، ورفض الدول العربية الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع إسرائيل، وإخلاء فلسطين لنا يشكل تهديدًا حربيًّا، ويظهر دليلاً على نواياهم"[31].

ويَخلص شاي هازكاني، إلى أن قيادة الجيش الإسرائيلي رأت فى الدعاية المؤسسة على إشاعة روح الكراهية للعرب، أمرًا مفيدًا وتجعل قتال العدو أسهل، فقد علق يهودا والاش، الذي كان قائد كتيبة جفعاتي أثناء الحرب وأصبح فيما بعد قائد اللواء، بأن الكراهية كانت واحدة من أهم العوامل المحفزة في عام 1948، فوِفق نظريته: "لا يمكنك أن تكون مقاتلاً جيداً دون الكراهية"[32]. ولقد ظل هذا الخطاب يتردد حتى بعد نكبة 1948، فلم ينتهِ الغرض منه كمحفز لروح الكراهية للعرب، ففي أعقاب كل أزمة يُستدعى هذا الخطاب وربما بنفس المفردات؛ ففي أعقاب التوتر مع مصر عام 1955 على خلفية العدوان الصهيوني على غزة و شراء مصر صفقة الأسلحة التشيكية، صرح بن غوريون في الكنيست في نوفمبر 1955 قائلًا: "لقد رددت إذاعة القاهرة منذ وقت غير طويل عن أملها في تدمير إسرائيل وهو موضوع لم يتوقف العسكريون الحاكمون عن التحدث عنه. فأعداؤنا يعتقدون أن في استطاعتهم حل مشكلة إسرائيل حلًّا مطلقًا ونهائيًّا وذلك بتدميرنا"[33].

أما الغاية الثانية، التي استُخدم فيها هذا الشعار من قبل الدعاية الصهيونية، فهي إثارة التعاطف وتقمص دور الضحية وإذكاء الشعور بالذنب لدى سائر شعوب الأرض؛ لمؤازرة اليهود في حل مشكلتهم وإنقاذهم من العرب الذين يسعون لإبادتهم؛ فدولة إسرائيل تدين بقيامها مثلًا إلى المحرقة ليس لأنها أحدثت طفرة كبيرة في أعداد اليهود المهاجرين إلى فلسطين، وإنما لقدرتها على وجود مبرر لاستدرار إحسان العالم على هذا الشعب الذين عانى الإبادة[34]. وبالمثل فإن الترويج لمحرقة عربية محتملة، قد يصنع نفس الأثر ويخلق شعورًا دوليًّا داعمًا لإسرائيل وحقها في البقاء.

ففي محاولة من رئيس إسرائيل الأول وايزمان لحث إدارة الرئيس الأمريكي ترومان على مزيد من الدعم للهجرة اليهودية لفلسطين، ذكر للسفير الأمريكي في إسرائيل جيمس ماكدونالد James McDonald : "إن سياسة بريطانيا للتضييق على هجرة اللاجئين اليهود على نطاق واسع إلى فلسطين في عام 1945، استندت إلى سلسلة من الحسابات الخاطئة: منها أن إسرائيل لا تستطيع مقاومة العرب الذين سيدفعون اليهود إلى البحر، وأن إسرائيل موالية للروس[35]". ومن جانبه، روَّج ماكدونالد بحماس لمنطق ترومان، من أن إسرائيل استطاعت أن تجتاز اختبار حقها في البقاء، وأن على الإدارة الأمريكية الرهان عليها كحليف في منطقة الشرق الأوسط ومنع العرب من تدميرها. فذكر في مذكراته سعادته بما وصل إليه جون دالاس – كان وقتها عضوًا فاعلًا في الكونجرس– من نتائج بأن قرار تقسيم الأمم المتحدة عام 1947 كان مقامرة قائمة على الخوف من جدية التهديد العربي بدفع اليهود إلى البحر، وأن الأشهر الاثني عشر الماضية – يقصد فترة الحرب– كشفت بوضوح أين يكمن ميزان القوى، وأن المعلومات البريطانية عن الشرق الأوسط كانت مضللة"[36].

لقد آمن الأمريكان والغرب بصدق الدعاية الصهيونية وشعر بعضهم بضرورة منع حدوث هولوكست عربي لليهود، وعجَّت الوثائق الأمريكية المبكرة – نقصد القريبة من فترة تأسيس دولة إسرائيل– بطرح تلك الفرية على أنها خطر حقيقي قابل للوقوع، بل وشيك، إذا سهى الغرب عن إسرائيل يومًا. ففي لقاء بين الرئيس السوري شكري القوتلي والسفير الأمريكي جيمس كيلي James Keeley في الثالث من مارس عام 1949 قال كيلي: " كنت أعرف، من تصريحات سابقة أن السوريين يفضلون رمي الإسرائيلين في البحر، وأظن أن الإصرار على مثل هذه التطرف بات من غير الواقع"، ولم يناقشه القوتلي في هذا الزعم، ورد رئيس وزارئه خالد العظم: "دعهم يبقون، فقضية العدالة للاجئين وإعادة ترسيم الحدود الأهم ويجب مواجهتها بشكل واقعي"[37]. ومع توقيع معاهدات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية، ناقشت ورقة لوزارة الخارجية الأمريكية في مايو 1953، فرص إيجاد تسوية سلمية بين العرب – خصوصًا الأردن حيث أكبر عدد من اللاجئين الفلسطينين– وإسرائيل وخلصت إلى صعوبة ذلك، في ظل رأى عام يرى أن الطريق الوحيد لتحقيق السلام هو رمي اليهود في البحر[38].

ومع تنامي مد القومية العربية أواخر الخمسينيات، عبر وزير الخارجية الأمريكية جون دالاس عن سعي السوفييت لاستغلال فيضان القومية العربية الجارف ورغبة العرب في إلقاء إسرائيل في البحر، لبسط نفوذهم، وأن الإدارة الأمريكية ملتزمة بالحيلولة دون

ذلك"[39]. ويحتفظ الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بالنصيب الأكبر في استخدام شعار رمي إسرائيل في البحر لتبرير الدعم الأمريكي لإسرائيل، ففي حوار مُتلفز له في الأول من يوليو 1970 خاطب الجمهور الأمريكي شارحًا لهم سياسة بلاده في الشرق الأوسط: " سألخصها لكم في كلمة واحدة، نحن ندرك أن إسرائيل لا ترغب في دفع أي من الدول العربية إلى البحر، بينما هناك من يريد دفعها إلى البحر، وبمجرد أن يتغير ميزان القوى وتصبح إسرائيل أضعف من جيرانها، فسوف تنشب حرب لفعل ذلك. وعليه، فإن مصلحة الولايات المتحدة الحفاظ على توازن القوى، وسنحافظ عليه. ولهذا السبب، عندما يتحرك الاتحاد السوفييتي لدعم الجمهورية العربية المتحدة، فإنه من الضروري بالنسبة للولايات المتحدة القيام بما يكفي للحفاظ على قوة إسرائيل في مواجهة جيرانها، ليس لأننا نريد أن تكون إسرائيل في وضع يسمح لها بشنّ حرب – وهذا ليس هو الحال –، ولكن لأن ذلك هو ما سيردع جيرانها عن مهاجمتها"[40]. وذكر في مذكرته إنَّ احتمالية حدوث مواجهة مباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ازدادات في منتصف عام 1970 – مع تزايد الدعم السوفيت لمصر وسوريا–، فالولايات المتحدة لم تكن تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي وتشاهد إسرائيل يُدفع بها فى البحر[41].

وإذا انتقلنا إلى الأوساط العربية والإسلامية، فإن هذا الشعار لاقى رواجًا كبير بين الكثيرين على اختلاف مشاربهم، فريق منهم من خصوم الناصرية سواء كانوا من الساداتيين أو الإخوان ممن رأوا في إلصاق تلك العبارة بناصر فرصة مواتية للتندر بعنتريته التي ما قتلت ذبابة، وآخرون مردُوا على جلد الذات رأوا أن تلك العبارة – التي ألصقوها بالشقيري أو أمين الحسين– هي التي جلبت للعرب ويلات النكسة وجذبت بعض اليهود "المؤلفة قلوبهم" إلى معسكر الصهيونية الدينية، وطائفة أخرى من العجم قد أَهَمَّتْهُمْ أنفسهم، وجدوا في تلك الفرية طريقة سهلة للنيل من القومية العربية والانتصار لقومياتهم.

ومن الفريق الأول، يقول الشيخ محمد الغزالي: "إن عبد الناصر سنة 1967 زعم أنه سوف يرمي بإسرائيل في البحر، ودخل حربًا لم يحسن بدايتها ولا نهايتها، فماذا كان؟ انهزم خلال ساعات وتضاعفت مساحة إسرائيل مرتين، وانتفضت أطراف وأوساط مصر والأردن وسوريا، وصبغ القار وجوه العرب أجمعين" 42. وعلى منوال الغزالى نسج عائض القرني توهَّماته، فيقول: " إلى متى نصدق عواطفنا المجنَّحة، فجمال عبد الناصر وعدنا أنه سوف يرمي إسرائيل في البحر، ثم سلّم لهم سيناء وسجن علماء وطنه ثم شنقهم"[43]. ويشاطر الأثري زاهي حواس هذا المنطق، وإن كان من منطلق ساداتي– ففي مذكراته يقول: "مع بداية شهر يونيو عام 1967 كنا نهلَّل عندما نسمع أننا سنرمي بإسرائيل في

البحر، وأننا على أعتاب الدخول إلى تل أبيب وتحرير فلسطين، لكن تفاجأنا بما كان وعرفنا حقيقة الهزيمة، وزاد حزننا وانكسارنا عندما سمعنا قصص التعذيب وانشغال كبار المسؤولين بزيجاتهم الفنية وحياتهم الخاصة"[44]. وتعطي لنا الوثائق الأمريكية مفاجئة فيما يتعلق بموقف السادات نفسه من تلك الفرية الإسرائيلية، ففي برقية من السفارة الأمريكية بإسرائيل إلى وزارة الخارجية، تكشف عن صدى لقاء بين بيجن بالسادات في الإسماعلية ديسمبر 1977، وكان هذا هو اللقاء الأول بينهما، تقول البرقية: " لقد تفاجأ surprised بيجن برد فعل السادات، عندما شرح له بشيء من التفصيل طبيعة حرب الأيام الستة باعتبارها حرب دفاع مشروع عن النفس، وأنه بموجب القانون الدولي، وإلى أن يتم التوقيع على معاهدة سلام، فإن احتلال إسرائيل لسيناء ناشئ عن صراع للدفاع عن النفس، وهو أمر مشروع تمامًا. وكانت حجته في ذلك الشعار الذي هتف به العرب قبيل بدء حرب الأيام الستة؛ فقاطعه السادات قائلاً: "نعم، ألقوهم في البحر". ويعلق التقرير: " على ما يبدو أن السادات نفسه أمَّن على حجة بيجن[45]"

Sadat himself apparently accepted Begin's argument

ومن نماذج الهزيمة النفسية وجلد الذات نظرة الكاتب العراقي خالد القشطيني «برنارد شو العرب» – كما كان يلقبه مريدوه – إلى تلك المقولة على أنها ليست مجرد شعار "واه" عاجز عن التنفيذ، وإنما أداة ساعدت إسرائيل على تعبئة اليهود عالميًّا ضد العرب وتحويل الرأي العام العالمي إلى جانبها. فقد كان هناك قطاع كبير من اليهود الأمريكان غير مؤمنين بالصهيونية ولا بإقامة إسرائيل، انتظموا في ما سمي بالمجلس الأمريكي لليهودية، كان من أقطابه الحاخام ألمر برغر صديق العرب، والكاتبان موشي منوحين وألفريد لنتال اللذان نشرا كتابين مهمين في التنديد بإسرائيل والصهيونية، انهار هذا الجناح كليا بعد قول تلك العبارة، التي جعلت يهود العالم يشعرون بأن العرب عقدوا العزم فعلا على إلقاء اليهود في البحر[46]. ويُحمَّل الدكتور عبد الجليل شلبي هذا الشعار – الذي لم يُقل– مسؤولية القوة العسكرية التي وصلت إليها إسرائيل، فيقول: "بعد تولى عبد الناصر الحكم، كان إعلان العداء لإسرائيل والتغنى بوعيدها والاستعداد لحربها أو لمحوها وكانت تهديدات ناصر دائما، سأرمي إسرائيل في البحر، وكانت نغمة حلوة على مسامع المصريين، وربحت منها إسرائيل واستوردت بها أسلحة"[47].

ويبقى الموقف الإيراني شاهد على الفئة الثالثة؛ ففي محاولة لإعادة تقديم نفسها للغرب، وإبراز سماحتها مع إسرائيل بالمقارنة بجيرانها من القوميين العرب المتشددين، صرح قائد الثورة الإسلامية الإيرانية، السيد علي الخامنئي في 2018: "إن بعض الناس

في العالم يتحدثون عن آراء الجمهورية الإسلامية بشأن المنطقة ويقولون زورًا إن إيران تعتقد أنه يجب رمي اليهود والصهاينة في البحر، لكننا لم نقل هذا أبداً. نحن لا نرمي أحداً في البحر، فجمال عبد الناصر أطلق شعار رمي اليهود في البحر، ولكن نحن لم نقل ذلك منذ البداية"[48]. وأعاد تأكيد هذا الموقف، مع اتهامات غربية بمساعدة إيران لحماس في عملية طوفان الأقصى أكتوبر 2023، فرد المرشد الإيراني علي خامنئي على من يرددون أن "إيران تريد أن ترمي اليهود أو الصهاينة في البحر"، التأكد من صحة الكلام، مؤكدًا أن ذلك الكلام كذب وأشخاص آخرون من العرب هم من قالوه سابقا[49].

الغريب أن هذا الموقف يتعارض ظاهريًّا مع عقيدة آية الله روح الله الخميني، الداعية إلى محو إسرائيل من الخريطة، وهو ما ردده الرئيس الأسبق الإيراني محمود أحمدي نجاد في خطبة ألقاها في العاصمة طهران بمناسبة يوم القدس عام 2012 من أن إسرائيل "ورم سرطاني سيزول قريبا"، وأن دول المنطقة ستنهي قريبا وجود المغتصبين الصهاينة على أرض فلسطين"[50]. لكن هذا التراجع الإيراني يعكس أن موقف مؤسس الثورة كان دعائيًّا، وأن رجال الحكم في إيران على استعداد للرجوع عنه، إن كان سيدرأ عنهم مواجهة حقيقية مع الغرب.

يبقى لنا سؤال، ما هي جذور تلك الأسطورة. فمن المعلوم أن الأباطيل الصهيونية مؤسسة على روافد لاهوتية، فكما يذكر روجيه جارودي في دراسته الرائدة "محاكمة الصهيونية الإسرائيلية": " إن الصهيونية عمدت إلى تحويل الأساطير الكبرى إلى تاريخ غير صحيح، بهدف تبرير سياسة قومية عنصرية للتوسع الاستعماري، فمثلًا تحول العهد الذى قطعه إبراهيم لتحقيق الاتحاد بين الله والإنسان، وبين " كل عائلات الأرض"، إلى مجرد عهد بأرض لبني إسرائيل، وتحولت أسطورة الخروج، النموذج الأول لكل حركات التحرر العالمي، إلى مجرد معجزة رب الانتقام، الذى يدعو إلى ذبح الشعوب الأصلية رجالًا ونساء وشيوخًا وأطفالًا، بل وحتى الحيوانات"[51]. لذلك كان علينا البحث عن الروافد اللاهوتية وراء هاجس إلقاء اليهود في البحر.

حقيقة إلقاء اليهود في البحر: هواجس توراتية وحقائق صهيونية

كما قلنا ليس للصهيونية أي أساس أو مرجعية يُعتد بها، إلا بالرجوع الانتقائي للعهد القديم، وانتزاع بعض نصوصه التاريخية وتأويله لخلق الأساطير. إن استخدام الدين كأداة سياسية من أجل تأمين العملية الاستعمارية؛ مسألة واضحة بالنسبة لكبيرهم الذي علمهم الإفك هرتزل. فهذا العلمانى، كما يطلق على نفسه، كتب يقول:

"الحاخامات سيكونون أعمدة منظمتي. فهم يكونون طبقة نفخر بها، ولكنهم سيبقون دائمًا تحت سلطة الدولة"[52].

وإذا أردنا أن نفتش عن جذور قصة الرمي في البحر؛ فمردها إلى سفر المكابيين الثاني، ففي إصحاحه الثاني عشر الآيتين الرابعة والخامسة ترد قصة إغراق أهل يافا لليهود في البحر فيذكر: "وَأَتَى أَهْلُ يَافَا اغْتِيَالًا فَظِيعًا، وَذلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوُا الْيَهُودَ الْمُسَاكِنِينَ لَهُمْ أَن يَرْكَبُوا هُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ قَوَارِبَ كَانُوا أَعَدُّوهَا لَهُمْ، كَأَنْ لاَ عَدَاوَةَ بَيْنَهُمْ. وَإِذْ كَانَ ذلِكَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهِمْ، رَضِيَ بِهِ الْيَهُودُ وَهُمْ وَاثِقُونَ مِنْهُمْ بِالإِخْلاَصِ، وَغَيْرُ مُتَّهِمِينَ لَهُمْ بِسُوءٍ؛ فَلَمَّا أَمْعَنُوا فِي الْبَحْرِ أَغْرَقُوهُمْ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ يَبْلُغُ الْمِئَتَيْنِ" [53].

تعود القصة التاريخية خلف هذا النص إلى القرن الثانى قبل الميلادى وبالتحديد في عام 167 ق.م حيث أصدر حاكم سوريا السلوقي أنطيوخس الرابع إبيفانيس (175/ 164 ق.م) مراسيم اضطهاد بحق اليهود، حملهم فيها على أكل لحم الخنزير، والعمل يوم السبت، والتوقف عن ختان أبنائهم[54]. ثم مالبث أن حظر ممارسة الشعائر الدينية اليهودية، وصُدرت الأضرحة والمذابح اليهودية وأرغم اليهود على عبادة الآلهة اليونانية، حيث أقام تمثالًا للإله اليوناني زيوس في الهيكل، وقدم عليه خنزيرًا، وهو ما سمي في سفر دانيال "رجسة الفساد"[55].

قرر يهود/يهوذا المكابي أن يقود حرب تدور رحاها في السبت، وأخذ عصاباته في سلسلة حروب عرفت لديهم "الثورة المكابية" "מרד החשמונאים" حققت نتائج مفاجئة على السلوقيين بالسيطرة على الهيكل وتطهيره من الوثنية اليونانية[56]. وفي خضم تلك الأحداث وقعت حادثة إغراق اليهود في البحر من قبل سكان يافا، وهى الواقعة التي شكلت تلك العقدة لديهم. استمرت حركة المكابيين بعد قتل يهوذا المكابي، وخلفه إخوته الذين انسحبوا بجيوشهم حتى انتصروا بالسياسة حين دعموا أحد المتنازعين على الكرسي السلوقي، واستمروا في هذه الألعاب السياسية حتى نالوا استقلالهم، لتقوم الدولة الحشمونية عام 140 ق.م وتستمر حتى عام 37 ق.م، والحشمونيون امتداد للمكابيين، حيث يعودون إلى أحد أجداد يوسف المكابي[57].

لا يمكن تقديم فهم دقيق لمدى مركزية هذا النص في العقيدة اليهودية، حيث إن النصوص التوراتية مشفَّرة لا يمكن فهمها بشكل مباشر. ولذا فإن التفسير الحاخامي لتلك النصوص ليس مجرد مقدمة لفهم المعنى الحقيقي للنص المقدس، كما هو الحال في التفسيرات المسيحية، وإنما هو جزء مكمل للوحي الإلهي الأصلي وبالتالي يتداخل

النص المقدس والتفسير الإنساني وتظهر حالة من التناص والسيولة. لكن المؤكد أن تلك القصة اللاهوتية كغيرها من أساطير العهد القديم شكلت مادة خصبة للحركة الصهيونية، فقد لجأت الأخيرة إلى تبني الرموز والأفكار الدينية المألوفة لدى الجماهير اليهودية، وحولتها إلى رموز وأفكار قومية[58].

وعلى الرغم من النظرة المتدنية تاريخيًّا إلى سفري المكابيين باعتبارهما كُتبا بعد الترجمة السبعينية ولا يوجد أصل عبري لسفر المكابيين الثاني، فإن الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر أعادت اكتشاف الثورة المكابية، واحتلت حيزًا كبيرًا في معتقداتهم، حيث اعتبروها مثالًا على الاستقلال والنصر. وليس أدل على ذلك من احتضان النادي المكابي فى لندن الاجتماع الأول الذي أعلن فيه هرتزل عن فكرته الصهيونية في عام 1895 ونشر برنامجه الصهيوني لتوطين اليهود في فلسطين59. بل ظهرت الثورة في مسرحيات الكتاب المسرحيين أمثال أهارون أشمان ويعقوب كاهان وموشيه شامير، وتعددت المنظمات في إسرائيل وغيرها التى تسمي نفسها على اسم المكابيين[60].

ويبدو أن قصة إلقاء أهل يافا من الوثنيين لليهود في البحر كانت معروفة في الموروث الثقافي الفلسطيني أيضًا، ففي الرواية التاريخية لعبد الجبار عدوان "بومة بَرْبَرَة" – والتي يرسم خطوط رحلة الشَّتات الفلسطينية عام 1948 وما سبقها من أحداث مهمة، على ألسنة من عايشوا هذه الأحداث من كبار السن في قرية بربرة الفلسطينية– يُورد الراوي على لسان إحدى بطلات الرواية "فاطمة" قصة إغراق أهل يافا لليهود فتقول: "بمناسبة عيد يافاوي طلب السكان من اليهود أن يذهبوا معهم في نزهة بحرية ويخذون معهم النساء والأطفال، وافق اليهود إذ لم يخطر في بالهم ما جهز الجيران لهم من مفاجآت، عندما وصلوا إلى عرض البحر كبَّوا المئتين يهودى في الماء فغرقوا عن بكرة أبيهم"[61].

أكثر من ألفي عام مضت، قبل أن يُلقى باليهود مجددًا في البحر، هذه المرة ليس على يد الوثنيين، وإنما على يد بني دينهم من عصابة الهاغاناه الصهيونية. ففي نوفمبر 1940، وصل إلى ميناء حيفا3500 مهاجر غير شرعيين قادمين من شرق أوربا، فقررت السلطات البريطانية ترحيل بعضهم على متن السفينة باتريا[62]. شعرت الهاغاناه أن مثل هذا لو تمّ سوف يشكل سابقة خطيرة لا يمكن السماح لها أن تحصل، ومن ثم بيتت النية على منع ذلك، فقام أفرادها بتفجير السفينة باتريا فغرقت على الفور مما أسفر عن موت مائتين وخمسين لاجئًا كانوا على متنها[63].. وسرعان ما زعمت

الوكالة اليهودية أن هذا الحادث كان بمثابة انتحار جماعي احتجاجاً على الترحيل، وروج – يوسيفوس العصر الحديث – المؤرخ آرثر كوستلر لفكرة أن المهاجرين قتلوا أنفسهم بإغراق سفينتهم، كما حدث في أسطورة ماسادا التوراتية[64]، لكن تبيَّن أن التفجير كان من فعل منظمة الهاغاناه التابعة للوكالة تحت إمرة "موشي شاريت"، الذي أصبح رئيسا للوزراء في إسرائيل فيما بعد، مما سبَّب إحراجا بالغا للوكالة اليهودية أمام المجتمع الدولي[65]. كان اليهود الغرقي حطب الصهيونية لقيام دولتهم المزعومة، فزادت أعداد المهاجرين، وتعهدت الولايات المتحدة بممارسة ما في جعبتها لحمل لندن على زيادة عدد المهاجرين. وأعلن الكونغرس الأمريكي موافقته على مخرجات مؤتمر بلتيمور 1944، ومعارضته القيود التي فرضتها لندن على الهجرة اليهودية إلى فلسطين[66].

هكذا يتضح أن أصل الفرية مركب ثلاثي الأبعاد، فهو من حيث الجذور يعود لنصوص دينية مفتوحة على كل التأويلات، نصوص يراها أصحابها حية رغم قدم السنيين، فالتاريخ اليهودي – بالنسبة لأهله– يتسم بالثبات والاستمرار، فإسرائيل تتعامل مع كتابها المقدس بوصفه مرجعًا تاريخيًّا يجب تكرار أحداثه التاريخية، فما دولة إسرائيل إلا الكومنولث الثالث لليهود، بعد الأول الذى حطمه الأشوريون والثانى الذى دمره الرومان، وما بن جوريون ووايزمان إلا أحفاد يهوذا المكابي وورثته، وما حرب 1948 إلا صورة حية من الثورة المكابية. أما قلب هذا المركب، فهواجس قومية، تعلم هشاشة دولة إسرائيل، هواجس تخشي على هذا الوطن الوليد من التفكك إن غاب هذا الخطر الذي يجمع شتات هذا المجتمع المتنافر. وبين جذر هذا المركب وقلبه، محيط غربي صدق كل ما قالته الصهيونية، بل مدها بالحجج أن فقدتها يوما

رمي الفلسطينيين في أَبْحُر الشَّتات: الفكرة والتطبيق

إذا كانت الصهيونية قد بنت أسطورة الهولوكست العربي المزعوم على أساطير دينية، وسعت إلى تعميم تلك الأسطورة والاستفادة منها، فإن وقائع التاريخ تثبت لنا أن الصهيونية هي من رمتنا بدائها وانسلت. فلقد سعت منذ أن كانت فكرة إلى طرح مشروع رمي سكان فلسطين في أَبحر الشَّتات، وساقت من أجل ذلك شعارها التاريخي: "فلسطين أرض بلا شعب". كان هذا الشعار الذي ظهر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر[67]، لا يعبر عن حقيقة ديموغرافية بقدر ما عبر عن رغبة في التطهير العرقي والإبادة عبر التهجير والإلقاء في غيابات الشَّتات[68].

كانت البداية العملية لفكرة إلقاء سكان فلسطين الأصلين في أبحر الشَّتات، عندما قدّم اللورد شافتسبري أثناء مؤتمر لندن 1840 مشروعًا لتوطين اليهود في فلسطين، متعللًا بأنها أرض مهجورة قاحلة، تفتقر للأيدي العاملة، وكان هذا المشروع إيذانًا بالميلاد العملي لشعار: "وطن بلا شعب، لشعب بلا وطن"[69]. ومع بروز الصهيونية السياسية على يد هرتزيل، صار إقامة وطن قومي لليهود يعنى بالضرورة التخلص من السكان الأصليين، ففي يومياته كتب في يونيو 1895 – قبل أن يحدد موطن الدولة اليهودية المزمع إنشائها– : "سيكون من الضروري إخراج غير اليهود من مثل هذه الدولة"[70].

It would be necessary to remove the non-Jews from such a state

لكن الخطوة الأكثر وضوحًا في مشروع طرد الفلسطينيين، جاءت عندما همَّ هرتزيل بوضع ميثاق لإنشاء رابطة للاستيطان في فلسطين، ورحل إلى القسطنطينية من أجل حمل السلطان عبد الحميد الثانى على تسهيل هجرة اليهود، وكانت المادة الثالثة في الميثاق تنص على منح اليهود الحق في ترحيل الأهالى الأصليين في فلسطين، إلى مناطق أخرى داخل الإمبراطورية العثمانية[71]. كان ميثاق الترنسفير الصهيوني لهرتزيل، قد تزامن مع تصريح لزعيم الصهيونية التوطينية إسرائيل زانغويل Israel Zangwill بعد زيارته لفلسطين عام 1898 قال فيه: "إن فلسطين أضيق من أن تستوعب شعبين، إن اليهود والعرب لن يعشوا بسلام، ولا مفر من إجلاء العرب ونقلهم بالقوة إلى البلدان المجاورة"[72]. وأَعاد في خطاب له في نيويورك عام 1904 وبلغة أكثر عنفًا التأكيد على قناعته فقال: " علينا أن نكون على استعداد لطردهم – أي العرب– من الأرض بقوة السيف، مثلما فعل أجدادنا ضد القبائل التي عاشت فيها"[73]. وعندما تلقَّى الوهم الصهيوني أكبر نجاحاته، بصدور إعلان بلفور عام 1917، أعاد زانغويل التأكيد على ضرورة طرد العرب إلى المملكة العربية المزمع إنشائها لأبناء الشريف حسين، والتي ستتعاون معه الدولة اليهودية بشكل ودي، معللًا ذلك بأن إعادة التوزيع العرقي لصالح السعادة العالمية العامة، وهي إحدى مهام عصبة الأمم[74].

كان خطاب الترانسفير نتيجة طبيعية لسقوط دعاوى الصهيونية حول الفراغ السكاني في فلسطين، فحاولت الصهيونية تقديم ذريعة جديدة لتهويد فلسطين، باستخدام مقولة الفراغ الحضارى، ووصف شعب فلسطين بالتخلف، وأنهم جماعات غير متحضرة، وفى مستوى متدن من سلم الحضارة والرقي التي يعتلي اليهود ربوعه. وعليه لا يستحق هؤلاء أن يستوطنوا تلك الأرض، وأنه وجب ترحيلهم إلى البلاد العربية المجاورة، ولا ضير لدى الصهيونية في إعطاء مبرر لذلك، فعرب فلسطين ليسوا سكان تلك المنطقة وإنما قبائل

مرتحلة من شبة الجزيرة العربية وما حولها، فمنها وفدوا وإليها يعودون، سواء أكان الأمر طواعية تحت إغراء الأموال أو قسرًا بقوة السلاح.

وفى أعقاب اشتداد المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني واندلاع ثورة البراق عام 1929، التأم اجتماعٌ في وزارة الخارجية البريطانية في لندن في الخامس من ديسمبر 1930 حضره حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، قدم فيه ما يعتقده حلًّا جذريًّا للصراع، عبر نقل العرب من فلسطين إلى شرق الأردن، وطلب من المجتمعين الاهتمام بتنمية بلاد شرق الأردن – التي يراها فارغة– واستصلاح الأراضي. وأشار وايزمان إلى أنه من مصلحة خط الأنابيب والسكك الحديدية المتوقع إنشاؤهما من العراق إلى حيفا تطوير وتوطين مجتمع سكاني مستقر في شرق الأردن، وأضاف أن رئيس الوزراء الأردني يرى ذلك مقترحًا عمليًّا، بشرط أن يتم تقديم نوع من المساعدة من قبل بريطانيا. واعترف وزير الخارجية هندرسون بأن "هذا الاقتراح يستحق الدراسة"[75].

شكَّل اندلاع الثورة العربية الكبرى دليلًا دامغًا للصهيونية على عمق ارتباط الشعب الفلسطيني بأرضه واستعداده للقتال من أجل ذلك، فوجدت أن لا مناص من إعلاء فكرة الترحيل القسري، ووجدت في توصيات لجنة بيل عام 1937 – التي شارك رؤوس الحركة الصهيونية في صياغتها– خير معين على ذلك[76]. فظهرت في نفس العام خطة سوسكين للترحيل القسري للعرب باعتبار أن ذلك شرطًا ضروريًّا لقيام الدولة اليهودية، ومن أجل ذلك دعا إلى إنشاء لجنة توطين العرب، يكون دورها انتقاء مساحات شاسعة من شرق الأردن بغية توطين العرب الذين سيتم ترحليهم[77]. صيغت عدة خطط ترحيل بعد خطة سوسكين منها؛ خطة يوسف وايتز (1937)؛ خطة بونيه (1938)؛ خطة روبين (1938)؛ خطة الجزيرة (1938–1942)، خطة إدوارد نورمان للترحيل إلى العراق (1934 واستمرت حتى 1948)؛ خطة الياهو بن حورين (1933– 1938) عرف لاحقا "بمشروع هوفر" بعد عرضه على الأمريكان[78].

إبَّان الحرب العالمية الثانية، وجدت الصهيونية أنه من السهل إعادة طرح مشروع الترانسفير العنصري، فأعاد وايزمان طرح الفكرة على مسامع السفير السوفياتي إيفان مايسكي Ivan Maiskii في لندن، وأكد له أن ترحيل نصف مليون عربي من فلسطين سيسمح بتوطين مليوني يهودي، وأن العرب سيرحلون إلى العراق أو إلى شرق الأردن، وأن الظروف في شرق الأردن لا تختلف كثيرًا عن الظروف في تلال فلسطين. ولتبرير إلقاء عرب فلسطين في صحراء الأردن والعراق، قال وايزمان: "لا تقلق فكثيرا ما يطلق على العربي اسم ابن الصحراء، وسيكون من الأصح أن ندعوه بأبي الصحراء. فكسله وبدائيته

يحولان الحديقة المزدهرة إلى صحراء. أعطني الأرض التي يشغلها واحد مليون عربي، وسوف أقوم بسهولة بتوطين خمسة أضعاف هذا العدد من اليهود عليها[79]. بعد هذا اللقاء بأشهر اِلتقى موشيه شاريت مع والتر سمارت Walter Smart سكرتير الشؤون العربية في السفارة البريطانية في مصر، وأخبره أن أرض فلسطين تستوعب ما لا يقل عن خمسة ملايين يهودي، وأن هناك مليونا عربي يمكن طردهم لصالح مزيد من الهجرة اليهودية. واقترح أن يطردوا إلى سوريا، حيث لا تزال مساحاتها فارغة، وقابلة لاستيعاب عدة مئات الآلاف من العرب، وسيوفر الشعب اليهودي الأموال لسوريا من أجل استيعابهم، والأمر نفسه ينطبق على العراق[80].

وقد اقتفى يوسف فايتس، مدير دائرة الأراضي في الصندوق القومي اليهودي، أثر وايزمان وشاريت، ففى 20 ديسمبر 1940 ذكر: "ليكن واضحًا أنه لا يوجد مكان في البلاد للشعبين" It must be clear that there is no room in the country for both peoples، لا يوجد أماكن شاغرة هنا من أجل التنازل عنها. ولا سبيل إلا نقل العرب من هنا إلى الدول المجاورة، نقلهم جميعاً[81]. ولقد أكد ديفيد بن جوريون هذا المعنى عندما وضع مشروعه الذي أطلق عليه "خطوط للسياسة الصهيونية" في 15 أكتوبر 1941، ومما جاء فيه: إن أرض إسرائيل ما هي إلا جزء صغير من الأراضي التي يسكنها العرب، وعرب أرض إسرائيل ما هم إلا جماعة لا قيمة لها، ودولتا العراق وسوريا قليلتا السكان، ويمكنهما استيعاب عرب إسرائيل ببعض الإغراءات المالية. وشدَّد على أن التهجير لن يتم إلا قسرًا؛ لأن مجموعات قليلة كالدروز هم من يقبلوا الرحيل بقليل من المزايا، أما الترحيل الجماعى لن يتم إلا بالقوة كما حدث في ترحيل السكان بين اليونان وتركيا[82]. وتطالعنا الوثائق بمزيد من النصوص عن دعاوى التهجير القسري للعرب، لكن اللافت للنظر هو الترحيب الغربي بتلك الدعاوى. فحزب العمال البريطاني اعتمد وثيقة مباديء عام 1944 تدعو إلى تسهيل الهجرة اليهودية لفلسطين ونقل العرب خارجها، كجزء من تسويات تهدف لخلق حالة سلمية في الشرق الأوسط[83]. ولعل هذا الترحيب الغربي يعكس حالة التوحد بين الغرب والمشروع الصهيوني، بشكل يجعله ليس بحاجة إلى تبريرات صهيونية من أجل تقديم المساعدة لإسرائيل.

عمليًا، فإن العصابات العسكرية الصهيونية سعت حتى قبل نكبة 1948 في إرهاب الفلسطينيين وإخراجهم قسرًا من ديارهم، وقبل إعلان قيام دولتهم، وضع مخطط شامل للترحيل والتطهير العرقي للفلسطينيين عرف بـ "خطة دالت"[84]، والقائمة على الإسراع في طرد أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، وبالفعل شكلت هذه الخطة مجمل الرؤية

التوسعية للصهيونية من حيث شموليتها في تصفية الوجود الفلسطيني، بحيث يتم تفريغ مناطق فلسطينية وفرض سيطرة عسكرية عليها. وهدفت الخطة إلى تنفيذ تطهير عرقي وترحيل الفلسطينيين، وكانت السبب المركزي في تحويل الفلسطينيين إلى لاجئين وسقوط مدنهم وقراهم بيد العصابات الصهيونية. ونفذت العصابات الصهيونية سلسلة من المجازر بحق الفلسطينيين في معظم القرى والمدن التي احتلتها بالقوة أو باستسلام أهاليها، وذلك بهدف خلق أجواء رعب وخوف. فمجزرة دير ياسين نموذج لهذا الأسلوب، فقد قال عنه إسرائيل شيب – إلداد، وكان وقتها عضوًا في قيادة ليحي (عصابة شتيرن): "لولا دير ياسين لكان نصف مليون عربي يعيشون اليوم داخل دولة إسرائيل. وما كان لدولة إسرائيل أن توجد[85].وتبعتها مجازر في الصفصاف واللد وعيلبون والطنطورة والدوايمة وغيرها. وهكذا شهد التاريخ الفلسطيني أكبر عملية تفريغ وهدم وترحيل وتطهير عرقي بموجب هذه الخطة[86].

إن ما يتبيَّن من المقترحات الصهيونية المبكرة لطرد العرب عن أرض فلسطين، أن الصهيونية آمنت بصعوبة أن تتسع أرض فلسطين لهم ولسكانها الأصليين في وقت واحد، وإن بقاء عرب فلسطين يهدد مشروعهم، فأرض إسرائيل في زعمهم– حقًّا وراثيًّا لليهود، وملكًا لليهود حصرًا، والعرب "غرباء" وعليهم أن يقروا بيهودية أرض إسرائيل/فلسطين وبالسيادة اليهودية الحصرية عليها، أو أن يرحلوا.

خاتمة

لقد كانت فرية رمي اليهود في البحر إحدى تجليات ترنيمة الاضطهاد التي رددتها الصهيونية بخشوع أمام الرأي العام العالمي، مُتسربله بحُلَّة المظلومية، ومعتصمة بعقل وضمير غربي يقبل كل ما يخرج عنها. إن وضع تلك الفرية في مرمى النقد التاريخي يثبت عمق هشاشتها، وأنها إحدى إفرازات الدعاية الصهيونية، وأنها لم تكن شعارًا عربيًّا في أي مرحلة تاريخية، وأن رواجها جاء من قوة البروباجندا الصهيونية وتصديق الغرب لها، وانهزامية بعض المثقفين العرب ورغبة بعضهم في النكاية ببعض من اتهموا برفع هذا الشعار. إن هذا الشعار هو هاجس القتلة من ثورة دماء ضحاياهم، وتخوُّفات الظالم من لحظة القصاص، إنه إحدى ثمار التقمص التاريخي النصي لوقائع العهد القديم، الذي ينبغي إعادة تمثيل فصوله كاملة وعلى نفس المسرح الذى وقعت عليه. في المقابل، فإن فكرة الرمي والطرد في حق الآخر، عقيدة صهيونية آمنت بها منذ أيامها الأولى وحتى قبل أن تصبح مشروعًا، وأمست ممارسة من قبل عصاباتهم قبل أن تكون دولة. إن تفكيكنا لتلك الفرية لا يعنى أننا نغلق النوافذ على أصحابها، فعمليًّا شعار رمي اليهود في البحر انزوى استخدامه كفزاعة، لحساب تخرُّصات صهيونية أخرى قائمة على استخدام شعارات وطنية وتوظيفها لنفس الغرض، على رأسها شعار "من النهر إلى البحر.. فلسطين ستتحرر" (From the river to the sea, Palestine will be free). والتي يروج له اليهود على أنه دعوة صريحة لمحو إسرائيل، متناسين أن البرنامج الأصلي لحزب الليكود، حزب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، والصادر عام 1977، به جملة تقول إنه "بين البحر والأردن لن تكون هناك سوى السيادة الإسرائيلية"، في إشارة إلى عدم وجود أي حقوق للفلسطينيين في كل أراضي فلسطين التاريخية. إنما كان قصدنا توضيح كيف تنشأ تلك الافتراءات وضعف منطقها، وأنها لا تعبر إلا عن مقاصد أصحابها تجاه أصحاب الأرض.

هوامش الدراسة

[1] أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى، ج 2، دار العودة، بيروت، 2005، ص 300– 301.

2 Report of the commission on the Palestine Disturbances of August 1929, London, 1930, p. 82.

3 محاضر جلسات الاستماع للجنة العربية العليا بفلسطين، بيروت، 1937، ص 44.

4 Dana Adams Schmidt, "Aim To Oust Jews Pledged By Sheikh; Head of Moslem Brotherhood Says U.S., British 'Politics' Has Hurt Palestine Solution," New York Times, (August 2, 1948).

[5] جمع إبراهيم بيومي غانم كل وثائق الإخوان المسلمين المتاحة ولم يذكر ذلك التصريح. للمزيد إبراهيم البيومي غانم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2011.

6 Dana Adams Schmidt, Armageddon in the Middle East, New York, 1974, p. 6.

7 Rufus Learsi, Fulfillment The Epic Story Of Zionism, New York ,1951, p. 405.

8 جريدة أخبار اليوم، اجتماع الزعماء العرب عند الملك عبد الله، 11 أكتوبر 1947.

9 Tom Segev, The Makings of History The Blind Misleading the Blind Haaretz Oct 21, 2011

10 Shay Hazkani, Who's Afraid to Reveal the Palestinian 'Secrets' of 1948?, Dec. 4, 2022

11 Ibid.

12 FRUS, The Near East, south Asia, and Africa, Vol. V, part 2, The Secretary of State to the Acting Secretary of State, Paris, October 20, 1948, p. 1500.

13 الشقيري، مرجع سابق، ص 304– 305.

14 Randolph S. Churchill and Winston S. Churchill, Th e Six Day War , London, 1967, 52.

15 Moshe Shemesh, Did Shuqayri Call for "Throwing the Jews into the Sea" ? Israel Studies, Volume 8, Number 2, summer 2003, pp. 78, 79.

16 جلبير الأشقر، العرب والمحرقة النازية: حرب المرويات العربية – الإسرائيلية، ترجمة بشير السباعي، المركز القومي للثقافة، القاهرة، 2010، ص 324.

17 جيمي كارتر، فلسطين السلام لا التمييز العنصري، ترجمة محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض، 2006، ص 64.

18 فيصل حوراني، العلاقات الفلسطينيّة الأردنيّة: في عهد الشقيري، الياقوتة الحوراء للبرمجيات، نسخة الكترونية، 2019، الفصل السابع.

19 FRUS , Arab-Israeli Crisis and War, Volume XIX, Memorandum of Conversation, Washington, May 24, 1967, p. 86.

20 Alexander Horne ,The case for prosecuting 'from the river to the sea', spectator, 4 November 2023

21 CIA Records, Israel A Nation Too Young To Die, July 31, 1967.

22 The New York Times, Nasser Touches Raw Nerve In Israel , Feb. 22, 1970

23 Elder of Ziyon (an American pro-Israel blog), Did Arab States Really Promise to Push Jews Into the Sea?,.algemeiner, February 20 2014.
Did Arab States Really Promise to Push Jews Into the Sea? Yes! - Algemeiner.com

24 كريستوفر ميهيو، نظرة الغرب إلى العرب، ترجمة هشام الدجاني، عدد 201، نوفمبر 1978، ص41- 42.

25 كلمة البكباشى جمال عبد الناصر فى نادى فلسطين بالإسكندرية ١٣/١٢/١٩٥٣
nasser.bibalex.org/TextViewer.aspx?TextID=SPCH-92-ar

الأشقر، مرجع سابق،، ص 320.

26 Laura James, Nasser at war: Arab Images of the enemy, Basingstoke, 2006, pp. 7,8.

27 Did Arab States Really Promise to Push Jews Into the Sea? Yes! avatar by Elder of Ziyon, algemeiner, 20 February 2014.

النص مأخوذ من مذكرات الجمالي، محمد فاضل الجمالي، العراق الحديث: آراء ومطالعات في شؤونه السياسية، 1969، ص 110

28 Jean Lacouture, Nasser: A Biography, New York, 1973, p. 236.

• هناك متهمون لم تناقش الورقة حقيقة اتهامهم برفع هذا الشعار من عدمه، إما لعدم تواتر الروايات بشأن رفعهم لهذا الشعار، أو لغياب الصفة السياسية والجماهيرية عنهم.

29 جلبير الأشقر، مرجع سابق،، ص 325– 326.

30 Shay Hazkani, 1948 from Below: A Transnational History of the War for Palestine, PhD dissertation,, Department of History, New York University, 2016, pp. 80, 81.

31 Ibid, pp. 82, 85.

32 Ibid, p. 85.

33 David Ben-Gurion, Israel: a personal history, New York, 1971, p. 458.

34 Voir Segev, 1967: Israel, the war, and the year that transformed the Middle East, New York, 2007, p. 284.

35 FRUS, The Near East, south Asia, and Africa, Vol. V, part 2, Telegram The Special Representative of the United States in Israel (McDonald) to the Acting Secretary of State secret us urgent Tel Aviv, November 17, 1948, pp. 1606, 1607.

36 James McDonald, My mission in Israel, 1948-1951 , New York, 1951, p. 106

37FRUS, The Near East, south Asia, and Africa, Vol. VI, The Minister in Syria (Keeley) to the Secretary of State confidential Damascus , March 5, 1949, p. 797.

38 FRUS, The Near and Middle East, Vol. IX, Part 1 Department of State Position Paper , Washington , May 5, 1953, p. 1201.

39 FRUS, Near East Region; Iraq; Iran; Arabian Peninsula, Vol XII, Memorandum of Conference With President Eisenhower , Washington, July 23, 1958, p. 98.

40 Public papers of the Presidents of the United States: Richard Nixon: containing the public messages, speeches, and statements of the President, 1970 year, Washington, 1971, p. 558.

41 Richard Nixon, The memoirs of Richard Nixon, Vol. 1, New York, 1979, p. 598

42 محمد الغزالي، الجرعات الأخيرة من الحق المر، ج 6، دار نهضة مصر، القاهرة، 2003،

43 عائض القرني، سنابل وقنابل، مكتبة العبيكان، الرياض، 2008، ص 34.

44 زاهى حواس، الحارس: أيام زاهى حواس، دار نهضة مصر، القاهرة، 2021،

45 FRUS, Arab-Israeli Dispute, January 1977– August 1978, Vol. VIII, Telegram From the Embassy in Israel to the Department of State1 Tel Aviv, December 27, 1977, p. 894.

46 خالد القشطيني، رمي اليهود في البحر، جريدة الشرق الأوسط، 15 يونيو 2004.

47 عبد الجليل شلبي، اليهود واليهودية،دار اخبار اليوم، 1997، ص 198.

48 خامنئي: نحن لم ندعُ لرمي اليهود بالبحر مثل عبدالناصر، موقع العربية نت، 12 يونيو 2018.

خامنئي: نحن لم ندعُ لرمي اليهود بالبحر مثل عبدالناصر(alarabiya.net)

49 خامنئي: لسنا نحن من قال سنرمي اليهود أو الصهاينة في البحر، موقع روسيا اليوم، 29 نوفمبر 2023.

خامنئي: لسنا نحن من قال سنرمي اليهود أو الصهاينة في البحرRT Arabic -

50 سلمان العزي، إسرائيل والتحولات السياسية في البلدان العربية منذ عام 2010، دار دجلة، عمان، 2018، ص 164

51 روجيه جارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص 29.

52 Theodor Herzl, The Complete Diaries Of Theodor Herzl, 15 June 1895 , Vol I, London , 1960, p. 104.

53 William Fairweather, The first & second books of the Maccabees London, London, 1903, p. 137.

54 Martin Hengel, Judaism and Hellenism: Studies in Their Encounter in Palestine during the Early Hellenistic Period, London, 1974, pp. 281, 282.

55 Sylvie Honigman, Tales of High Priests and Taxes: The Books of the Maccabees and the Judean Rebellion against Antiochos IV, California, 2014, pp. 388, 389.

56 Bezalel Bar-Kochva, Judas Maccabaeus: The Jewish Struggle against the Seleucids, Cambridge, 1989, pp. 276, 282.

57 Sylvie Honigman, Op. Cit., p. 163

58 عبد الوهاب المسيري، الإيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، ع 60، الكويت، 1982، ص 176.

59 ألياس شوفاني، إسرائيل في خسمين عاما المشروع الصهيوني من المجرد إلى الملموس، ج 2، دار جفرا، دمشق، 2002، ص 160.

60 Allan Arkush, "In Memory of Judah Maccabee" ,The Jewish Review of Books, December 4, 2018.

61 بد الجبار عدوان،بومة بربرة، دار الفارابي، بيروت، 2010،ص 73– 74.

62 Yehuda Bauer, American Jewry and the Holocaust, Detroit, 1981, pp. 143, 144.

63 Leslie Stein, The Hope Fulfilled: The Rise of Modern Israel, London, 2003, pp. 227–228.

64 Arthur Koestler, Promise and Fulfilment Palestine 1917/1949, London, 1983, p. 60.

65 Eva Feld, "The Story of the S/S Patria". Jewish Magazine, August 2001.

66 Israel Cohen, The Zionist Movement: its aims and achievements, London, pp. 369, 370.

67 Diana Muir, A Land without a People for a People without a Land" , Middle East Quarterly ,Spring 2008, pp. 55-56.

68 للمزيد راجع دراسة نور الدين مصالحه:

Nur Masalha, A land without a people, London, 1997.

[69] Nahum Sokolov, History of Zionism, Vol. 1, New York, 1919, pp. 124, 127.

[70] Chaim Simons, A Historical Survey of Proposals to Transfer Arabs from Palestine, 1895-1947, Ulaan Baator, 2004, p. 11.

[71] David Hirst, The Gun and the Olive Branch, New York, 1977, p.l8.

[72] سعيد جميل تمراز، طرد الفلسطينيين في الفكر والممارسة الصهيونية (1882/ 1949)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، ص 75.

[73] Robert MacDonald, "A Land without a People for a People without a Land": Civilizing Mission and American Support for Zionism, 1880s-1929, 2012, p. 13.

[74] Israel Zangwill, the voice of Jerusalem, New York, 1921, p. 105.

75 Chaim Simons, Op. Cit., p. 37.

76 نور الدين مصالحه، طرد الفلسطينين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882– 1948، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1992، ص 50– 52.

77 Chaim Simons, Op. Cit. , p. 242.

[78] للمزيد عن تلك الخطط راجع: مصالحه، مرجع سابق، ص 66 وما بعدها.

[79] Benny Morris , The birth of the Palestinian refugee problem revisited, Cambridge, 2004, p. 53.

[80] Ibid, p. 53.

[81] Chaim Simons, Op. Cit. , pp. 137, 138.

[82] Benny Morris , Op. Cit., p. 55.

[83] Yosef Gorni , The British labour movement and Zionism, 1917-1948 , 1983, pp. 178, 180.

84 Benny Morris , Op. Cit., p. 165.

85 Uri Davis and Norton Mezvinsky (eds.), Documents from Israel 1967-1973 ,London, 1975, p. 187.

86 راجع نور الدين مصالحه، التصور الصهيوني لـ "الترحيل": نظرة تاريخية عامة، مجلة دراسات فلسطينية، مج 2، ع 7، صيف 1991، ص 18.